Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

Sarcastic nonsense in the poetry of Hassan ibn Thabit: an interpretive argumentative reading

1- Asst. Prof. Dr. Nawal Noman Al-Bayati / University of Jarmo / College of Education / Department of Arabic Language / Literature and Rhetoric.

nawal.noman@chu.edu.iq

2- Asst. Prof. Dr. Wathiq Hassan Majhool Al-Hasnawi / Al-Muthanna University / College of Education for Humanities.

Wathiq.hassan@mu.edu.iq

3- Prof. Dr. Mohammed Obaid Al-Bahani / University of Anbar / College of Education for Humanities.

mohamad.o1980@uoanbar.edu.iq

Abstract:

Argumentation is a term that encompasses profound connotations, including linguistic, philosophical, communicative, and guiding meanings via a discourse addressed to a recipient. The purpose is to present arguments—i.e., proofs and reasoning—to dissuade them from a particular opinion or behavior, or both. This is achieved after verifying and verifying the proportions, values, credibility, quantity, and type of arguments presented. This is as stated in the theory of its first founder, Aristotle, which has survived to this day. his is the persuasive, evasive, and deductive style, which was also employed by the poet of the Messenger (PBUH), Hassan bin Thabit Al-Ansari Al-Khazraji, in his dedicated defense of the Noble Messenger and Islam, with convincing arguments, some of which were presented in a satirical, mocking style, which greatly affected the polytheists, causing them to dissuade them from their opposition and struggle against the Noble Messenger and Islam. We have included in the research two axes preceded by an introduction The first is a brief interpretive argumentative reading of some poetic examples of satirical poetry, and the second is a rhetorical argumentative reading of Hassan ibn Thabit's satirical poetry, followed by a conclusion of the most important findings of the study. Then comes the sources and references. Success comes from God.

Keywords: satire, satire, argumentativeness t. Researchers.

kujhs@uokirkuk.edu.iq https://kujhs.uokirkuk.edu.iq 009647776455564

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

الهجاءُ الساخر في شعر حسّان بن ثابت، قراءةٌ حِجاجية تأويلية

١ –أ.م..د.نوال نعمان البياتي/ جامعة جرمو /كلية التربية/ قسم اللغة العربية /الادب والبلاغة .

nawal.noman@chu.edu.iq

٢ –أ.م.د. واثق حسن مجهول الحسناوي /جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الانسانية.

Wathiq.hassan@mu.edu.iq

٣ – أ. د. محمد عبيد السبهاني / جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الانسانية.

mohamad.o1980@uoanbar.edu.iq

الملخص :

الحجاجُ مفردة تكتنف دلالات عميقة منها لغوية ومنها فلسفية وانجازية تداولية، أو توجيهية عبر خطاب مرسل الى متلقٍ، لغرض إلقاء الحجج عليه أي البراهين والأدلة، لثنيه عن رأي أو عدوله عن سلوك معين، أو كليهما معاً، بعد التثبُّت والتحقُّق من نِسب الحجج المقدمة ومدى مصداقيتها وكمها ونوعها، وهو الاسلوب الافحامي الاستدلالي الاستدارجي الاقناعي ، الذي وظّفه –ايضا– شاعرُ الرسول (صلى الله عليه وسلم) حسّان بن ثابت الانصاري الخزرجي في دفاعه المتفاني عن الرسول الاكرم والاسلام، بحجج دامغة جاء بعضُها في أسلوب هجاءٍ ساخر، نال كثيراً من المشركين لثنيهم وعدولهم عن مواقف المعارضة، والمناضلة ضد الرسول الأكرم والإسلام. وقد ضمنّا البحثَ محورين يسبقهما تمهيد ، الاول منهما، قراءةً حجاجية تأويلية موجزة لبعض النماذج الشعرية في الهجاء

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

الساخر، والثاني قراءة حجاجية بيانية لشعر الهجاء عند حسان بن ثابت، مردوفا بخاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة . ثم ثبت المصادر والمراجع . ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: الهجاء، الساخر، الحجاجية .

التمهيد : المفاهيم والمصطلحات الاجرائية :

جاء في المعنى اللغوي أن الحِجاج من حجّ: الحِج ، ((القصد وكلُّ قصدٍ، حج ..وحاججتُ فلانا فحججته ، اي غلبته بالحِجّة ، والمَحجّة : جادةُ الطريق: والحِجّة: السَنَةُ)) (اللغوي ، ١٩٨٧) و(الحِجّة) البرهان و(حاجَّه فَحجَّه) من باب ردّ، أي غلبه بالحِجّة وفي المثل : حجَّ فحجَّ، فهو رجل مُحاجِج بالكسر،أي جَدِل، والتحاج: التخاصم، والمَحَجَّة بفتحتين جادّة الطريق(الرازي ،١٩٩٩،ص١٢٣) ، وقيل ((غلبه بالحجة أو حاجه محاجة وحجاجا جادله، واحتج عليه، أقام عليه الحجة، وعارضه مستنكرا فعله، وتحاجوا: تجادلوا، والحجة الدليل والبرهان)) (الزيات، ص١٠٦– ١٠٧)(وقد عدّه أهل المعاجم حُجة وخيرُ دليل لإثبات فصاحة المفردات ، لأن وظيفة المعاجم اللّغوية الأساسية والرئيسة هي شرح وبيان معاني المفردات ، وكيفية ورودها في الاستعمال)(طه علي،ومهدي صالح ،مج ١٥،ص١٧١) والحجاج اصطلاحا – بحسب ما يراه بريلمان– هو((إذعان العقول لتصديق ما يطرحه المرسل او العمل على زيادة الاذعان هو الغاية من كل حجاج فانجع حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الاذعان عند من سمعها وبطريقة ما تدفعه الى المبادرة سواء بالاقدام على العمل أو بالاحجام عنه أو هي على الاقل ما تحقق الرغبة عند المرسل اليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة))(الشهري، ٢٠٠٤، ص٤٥٧)، كما عرّف طه عبد الرحمن الحجاج بأنه (كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها) (عبد الرحمن ،طه ،٢٠٠٠، ،ص٢٢٦)

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

٢-السخرية (لغة):

سخر من باب (طرب و(سخرا) بضمتين و(مسخرا) بوزن مذهب وحكي ابو زيد (سَخَرَ) به وهو اراد اللغتين. وقال الاخفش: سَخِرَ منه وبه وضحك منه وبه وهُزِىءَ منه وبه كلٌّ يقال به والاسم (السُّخريّة)بوزن العُشريّة والسخري بضم السين وكسرها، وقُرىء بهما قوله تعالي" ليتخذ بعضهم بعضا سُخريّا" ...و(التَّسخيرُ): التذليل. رجلٌ (سُخّرة) كسفرة يسخر منه كهمزة، و(سُخَرةٌ) يسخر من الناس).(الرازي،١٩٩٩ ج١/ص١٤٤).

والسخرية(اصطلاحا) : نشاط ذهني لفظي بلاغي حجاجي او سلوكي او جسدي، تواصلي اقناعي اشهاري، يتضمن أسلوب المفارقة والتكرار والحجاج والسفسطة، ويتبنى أساليب الانشاء الطلبي (الامر، النهي، الاستفهام، النداء، التمني) إن السخرية من حيث هي حجة مفارقة ((مبنية على العلاقات العقلية الباحثة عن الحقيقة كما وصفتها البلاغة الغربية الكلاسيكية بانها تعدد صوتي غائب عن علامات النص ومناقض لها بحسب معظم المقاربات المعاصرة وحجة شبه منطقية من منظور البلاغة الجديدة بقادرة على البحث في أصل المفاهيم والظواهر لتقصي خصائصها الجوهرية من جهة واستكشاف مواطئ التعارض في قضايا وظواهر لتبين عدم انسجامها من جهة أخرى مما يسميها بطل المواجهة والذي لا يكتفي برفض المعتقدات السائدة أو أنماط التفكير المهيمنة، بل يسعى إلى تقويضها وقلب موازينها، وإنْ كان في الغالب لا يُعيدُ صياغتها بصورة كاملة أو منهجية جديدة)) (الجابري، ٢٠٢١، ص. ٩٤) ، وتأتي السخرية أيضا بمعنى ((الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء)) (الغزالي ٢٠٠٨ ،ص ١٩٢) ، ويمكن ان نسمي السخرية بـ(الاستعارية) او الالماحية وهي خطابات استعارية توجيهية قصدية تثبيطيه إنجازيه كونها تدفع الخصم/ المتلقي للقيام بعمل ما كردة فعل جسدية أو نفسية أو سلوكية أو فكرية ، فهي تستهدف جسد الخصم ومعنوياته وأفكاره وعواطفه أي تغتاله معنويا، فهي

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

خطابات سيمائية دغمائيه سفسطائية حجاجيه متحيزة، فالسخرية تخرق قوانين واشتراطات التماسك النصي، والعرفي، والاجتماعي، اذ انها قطع للتواصل وتشويه للمتلقي بشكل عام.

٣-حسّان بن ثابت :

هو ابو عبد الرحمن حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد ماه بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الانصاري الخزرجي ثم بني مالك بن النجار يكنى ابا الوليد وقيل ابو عبد الرحمن وقيل ابو الحسام لمناضلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقطيعه اعراض المشركين وامه الفريعة بنت خالد بن خنيس بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن كعب بن ساعدة الانصارية يقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :كان والله كما قال فيه حسّان:

متى يبدُ في الداجي البهيم جبينُهُ يَلُح مِثلُ مصباح الدُجى المتوقدِ

فمن كان أو مَن قد يكون كأحمدٍ نظامٌ لحقٍّ أو نكالُ لملحدِ

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يقول أن الله يؤيد حسان بروح القدس ،وكان فصيحا بليغا عفيفا ومن الشعراء المخضرمين ((القاري ٢٠٠٢، ج/٧ ص ٣٠٢٢)) .

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

المحور الاول : توظيف السخرية في هجاء حسان بن ثابت:

يرى حازم القرطاجني : ((ان التخيل هو قوام المعاني الشعرية والاقناع قوامه المعاني الخطابية، واستعمال الاقناع انقى الاقاويل الشعرية سائغ، اذ كان ذلك على جهة الالماع في الحواس بعد الموضع، بل ساغ لكليهما ان يستعمل بيسر فيما تتقوم به الاخرى ،لان الغرض في الصناعتين واحد وهو اعمال الحيلة في القاء الكلام من النفوس بمحل القبول، لتتأثر لمقتضاه، فكانت الصناعتين متأخرين لأجل اتفاق المقصد، والغرض فيهما فلذلك ساغ للشاعر ان يخطب، لكن في الاقل من كلامه وللخطيب ان بشعر، لكن في الاقل من كلامه)) (القرطاجني ١٩٨٦،ص ٣٥٠)

و النص الشعري له دلالات عدة هذه الدلالات يمكن استنباطها من الاستنطاقات النقدية التي يبحث عنها قارئ النص الشعري، فنجد في قول حسّان بن ثابت، هه الدلالات والاستنباطات من خلال قوله في قومٍ من بني كعب من خزاعة :

غِبنا فَلَم نَشهَد بِبَطحاءِ مَكَّةٍ رِجَالَ بَني كَعبٍ تُحَزُّ رِقابُها

بِأَيدي رِجالٍ لَم يَسُلّوا سُيوفَهُم بِحَقٍّ وَقَتلى لَم تُجَنَّ ثِيابُها

فَيا لَيتَ شِعري هَل تَنالَنَّ نُصرَتي سُهَيلَ بنَ عَمروٍ وَخزُها وَعِقابُها

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

هنا حسان بن ثابت يشحذ الهمم ويستنفر الناس لقتال قريش بعد نقضهم العهد وقتلهم لرجال خزاعة الذين دخلوا في حلف مع رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام وقصد حسان في هذه الابيات ان يظهر الحجة في مقاتلة قريش لانهم نقضوا العهد فنكلوا بخزاعة يوم غاب عنهم المسلمين وبين بانهم ليسوا على حق عندما شهروا سيوفهم وحزوا رقاب رجالها، ثم يتمنى أن ينال من قريش نصرة للدين اولا ولرجال خزاعة ثانيا فحسان تمكن من خلال هذا الايجاز بمحاججة قريش ومقاتلتهم لانهم لا يحفظون عهدا ، وفي الوقت ذاته افصح للمسلمين سبب التوجه لقتالهم ، فالاقناع العقلي، هو ((الذي يخاطب فيه المتكلم العقل بالحجّة والدليل والمنطق والتسلسل الذي يرتقي الى النتيجة، وهو يبدا بالمقدمة التي تحدد الموضوع او القضية، ثم العرض ثم أصل المشكلة، ثم الدليل ثم النتيجة او الحكم)) . (عكاشة، ٢٠١٤، ص٥٥) ومن الوظائف الحجاجية التي تؤديها المقدمات(التضخيم او التحقير) والتي وظفهما حسّان بن ثابت للدعوة او المرسل اليه نفسه وهما ((دوران انفعاليان يستهدفان في الغالب عاطفة المتلقي بخلق انطباع اولي قبل الشروع في تقديم الغرض من الرسالة)) وقوله :(العالي،٢٠١٥، ص٣٤٩)

وَصَفْوَانُ عَوْدًا حُزَّ مِنْ شَفْرِ أَسِنَّةٍ فَهَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا

فَلَا تَأْمَنَنَّا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ إِذَا لَفَحَتْ حَرْبٌ وَأَعْصَلَ نَابُهَا

فَلَا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سُيُوفَنَا لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

يشكل المقطع نواة حجاجية محورية في البناء الاستدلالي للنص، حيث يؤسس الشاعر أطروحته الأساسية عبر استراتيجية حجاجية ثنائية المحور تنطلق من المقدمة الاستعارية وتنتهي بالنتيجة التقريرية. تعمل الجملة الأولى "وَصَفْوَانُ عَوْدًا حُزَّ مِنْ شَفْرِ أَسِنَّةٍ" كحجة بصرية حسية تستند إلى آلية التشخيص والتجسيد، فالعود المقطوع من حد الرماح يتحول إلى دليل مادي على شدة المعركة وضراوتها، وهي حجة تخاطب الحواس قبل العقل لترسيخ واقع الصراع في ذهن المتلقي. ينتقل الخطاب الحجاجي عبر أداة الربط "فهذا" التي تؤدي وظيفة استنتاجية، إلى النتيجة المنطقية "أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا" حيث تتجلى الاستعارة المكنية التي تصور الحرب كمحارب يشد عصابة رأسه استعدادًا للقتال، وهي صورة تحمل دلالات التأهب والجدية والعزم على المواجهة(وكما أن بأشكالها المختلفة فهي ترفد الأسلوب بمقومات الجمال، وتقدم البيان في صورة مستجدة)(صالح ، مجلة كركوك ٢٠٠٨، ص٩) وبذلك يتعاضد هذا البناء التصويري مع البنية النحوية التي تعتمد على الجملة الاسمية في الشطر الأول لتأكيد ثبوت الحالة، ثم الجملة الفعلية في الشطر الثاني للدلالة على دينامية الحدث، محققًا بذلك تدرجًا حجاجيًا يمهد للخطاب التهديدي اللاحق. إن هذا البيت يؤسس للمنطق الحجاجي الشامل للنص من خلال ترسيخ مبدأ السببية: فالعود المقطوع من الرماح (السبب المادي) يؤدي حتمًا إلى إعلان الحرب (النتيجة المنطقية)، مما يجعل التهديدات اللاحقة تبدو منطقية ومبررة في سياق هذا التأسيس الحجاجي المحكم الذي يمزج بين البلاغة والمنطق في خدمة الإقناع والتأثير، وقوله (فلا تأمننا يا ابن ام مجالد، اذ لفحت حرب واعصل نابها) خطاب حجاجي يحمل بصمات التهديد والوعيد اذ،((تعد التهديدات من آليات التوجيه، لذا يعمد المرسل في سياقات معينة الى تهديد المرسل اليه، وهو من السفسطات الجلية، وصيغته العامة، (افعل والا ضربتك او لاتفعل والا ضربتك)، لكنه لا يخلو من نجاعة في الخطاب الطبيعي، والخطاب السياسي بشكل خاص كما انه يستهدف في عاطفة المتلقي باثرة الخوف في نفسه مما يدفعه الى فعل او ترك

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

))).(العالي،٢٠١٥ ،ص ٣٩١) فتسللت الحجج في خطابه الشعري هذا (فهذا اوان الحرب شد عصابها) ،فجاء خطابه تهديديا بقوله: (فلا تأمننا، فلا تجزعوا منها)، وجاء بالحجة الدامغة : (لها وقعة بالموت يفتح بابه).

المحور الثاني : توظيف البيان في شعر الهجاء عند حسان بن ثابت (قراءة حجاجية).

يُمثِّل الهجاء في الشعر العربي مُنعطَفًا بلاغيًّا يُجسِّدُ صِراعَ الذاتِ الشعريَّة معَ الآخر، عبر آليَّاتٍ لغويَّةٍ تَستهدِفُ تفكيكَ هيبةِ الخَصْمِ وإقناعَ المُتلقِّي بضَعْفِه، ويَبرُزُ حسّان بنُ ثابتٍ (ت ٥٤ هـ) كأحد أعلامِ هذا الفنّ، لا سيَّما في توظيفِه للتشبيهِ الحجاجيّ في اشعار السخرية، بشكل يندمِجُ فيه الجانبُ التصويريُّ مع الحجّة المنطقيَّةِ لإفحامِ الخَصْم من جهة، ولإقناع المسلمين على مصداقية ما يؤولون إليه ، من مفاهيم ومعتقدات صادقة وثابته من جهة أخرى ، ويهدفُ هذه المحور إلى كَشْفِ الحجج التي اعتمدَها حسّان في تشبيهاته الساخرة مع تحليلٍ لسياقاتِها النصية، عبر مقاربات حجاجية حداثوية اسقطت على نص تراثي. إن الفنون البيانية (التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز) تُعدُّ آليات بلاغية ؛ تسهم في وظيفة الاقناع والإمتاع والتشويق لدى المتلقي من جهة و تعدُّ حمولات حجاجية اقناعية من جهة اخرى؛ فالحجاج يعد مجالا بلاغيا رئيسا ومهما من مجالات البلاغة واشتغالاتها، لأن العلوم البلاغية تكتسب قوتها التأثيرية من الحجاج ؛ لأنها لا تخاطب الاحساس والانفعال والجمال فحسب، وانما تخاطب العقل والذهن ايضا. (صادق ، ص١٥٥) ويقوم التشبيهُ الحجاجيُّ على إقامةِ علاقةٍ قياسيَّةٍ بين المُشبَّهِ والمُشبَّهِ به، تَستهدِفُ إثباتَ سلبيةٍ أو نَقصٍ في الخَصْمِ بحجّة معينة، عبرَ آليةٍ مُزدوجةٍ بين التصوير الخيالي- والذي يتغلغل في بِناء صورةٍ ذهنيَّةٍ مُقنِعَةٍ عبرَ التماثُلِ في الوصفِ - وبين الإقناع المنطقي، والذي يسهم في تَأسيسُ حجّة عقلانيَّةٍ تُبرهِنُ على صِحَّةِ المقارنةِ ، ويرى عبدُ القاهرِ الجرجانيُّ (ت ٤٧١ هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز" إلى أنَّ التشبيهَ "لا يَكونُ بليغًا إلا إذا حَوى علَّةً تَمنعُ الذهنَ من رَدِّه" (الجرجاني ،ص٥٠) أي أنَّه يَستندُ إلى سَبَبٍ عقليٍّ يُقنعُ السامعَ بصحَّتِه قبلَ جماليَّتِه، ومن هنا تقوم العلاقة بين التشبيه والحجاج على الاستدلال

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

والبراهين. ويُضيفُ الدكتورُ محمدٌ أبو موسى أنَّ التشبيهَ الحجاجيَّ "يُحوِّلُ الصورةَ الفنيَّةَ إلى دليلٍ إثباتيٍّ يُؤيِّدُ موقفَ الشاعرِ، ويُضعِفُ موقفَ الخَصْمِ(أبو موسى ، ص ٢١٣) . وبذلك يكون للتشبيه دور حجاجي وليس مجرد تمثيل وتصوير أو صنع صور، وافكار لتقرب الفكرة في رؤى المتلقي ومن المنطلق نفسه يعمد المرسل إلى توظيف هذه الآليات والاساليب البلاغية، بخصائصها وإمكاناتها الاقناعية ، فتكون بمثابة قوالب تنظم الحجج، فتعينه على تقديم حججه في الهيكل الذي يتناسب والسياق الذي ترد فيه، والتشبيه من أبرز صيغ التصوير، وهو((عملية مقارنة تجمع بين طرفين لأتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعه من الصفات والاحوال، وهذه العلاقة تستند الى مشابهة حسية. وقد تستند الى مشابهه في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفي المقاربين من دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية في كثير من الصفات المحسوسة)).(ابو نصر حامد)

ولكي نبين ما للتشبيه من أثر حجاجي في الهجاء الساخر، سنذكر بعض النماذج من ابيات حسّان بن ثابت والتي كان التشبيه فيها حجّة ووسيلة اقناع وظفها الشاعر ضد خصومه ، فعادة الشاعر عندما يهجو الخصم، يتعمد الاتيان بصور ساخرة، ليقدمه حججا مقنعة في دعم خيال المتلقي، بأن مايقوله ويدعو اليه الخصم، ماهو الا فضفضات باطله، وقد أبدع حسّان من خلال المزج بين الإقناع الذهني الحجاجي، والتشبيه التصوير الجمالي؛ لإظهار الخصم بصورة مسخور منها ، ومستهزأ بها ، كما في تشبيهه للخصم بالحيوان المفترس، اذ يقول :(حسان ،١٥٠)

زَعَمَ اِبنُ نابِغَةَ اللَئيمُ بِأَنَّنا ... نَجعَلُ الأَحسابَ دونَ مُحَمَّدِ

أَموالُنا وَنُفوسُنا مِن دونِهِ ... مَن يَصطَنِع خَيراً، يُثَب وَيُحَمَّدِ

فِتيانُ صِدقٍ كَاللُيوثِ مَساعِرٌ ... مَن يَلقَهُم يَومَ الهِياجِ، يُعَرِّدُ

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

تتجسد عبقريةُ الشاعر في بناء خطاب هجائي ساخر، بتوظِّيف التشبيهَ الحجاجيَّ، بوصفه أداةٍ تصوير حجاجية، لتفكيك حجّة الخصم وترسيخ التصور الفني للتشبيه، وذلك عِبر نسجٍ بلاغيٍّ يُحيل السخريةَ إلى آلية إقناعٍ عقلانيةٍ، كما يُشير عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" إلى أن التشبيه لا يقتصر على تجميل الكلام، (الجرجاني ، ص١٥٤) بل يتحول إلى حجّة حين يُبنى على علاقاتٍ منطقيةٍ تُخاطب العقلَ قبل العاطفة وقد استثمر حسّان هذه الرؤيةَ لتشبيه الأنصار بالأسود في قوله: *"فِتيانُ صِدقٍ كَاللُيوثِ مَساعِرٌ"*، حيث يُحوِّل الصورةَ التزيينيةَ إلى دليلٍ حجاجيٍّ، يستند إلى الرصيد الثقافي العربي، الذي يرى في الأسد رمزَ الشجاعة المُطلقة، كما يُؤكده ابن رشيق القيرواني في "العمدة" عند تحليله لدور الرموز الحيوانية في الإقناع الشعري .(القيرواني، ص١١٥) وبذلك لا ينفصل البناءُ الحجاجيُّ عن التدرج المنطقي في الخطاب الهجائي، فالشاعر يبدأ بتفكيك مصداقية الخصم عبر افتتاحيةٍ لاذعةٍ: *"زَعَمَ اِبنُ نابِغَةَ اللَئيمُ"*، حيث تُحمل لفظةُ "زعم" –بحسب تحليل محمد عبد المطلب في "البلاغة والأسلوبية"– دلالةَ التكذيب المُضمر، بينما يُرسخ وصفُ "اللئيم" شرعيةَ الهجوم الأخلاقي، تمهيدًا لبناء الحجّة الرئيسية، التي تُقابل ادعاءَ الخصم بحقيقةٍ تاريخيةٍ (فداء الأنصار للنبي)، هذا ما سمّاه طه حسين "في الشعر الجاهلي" بـ "تفكيك الخصم سرديًا قبل مواجهته فكريًا"، وهو أسلوبٌ يعكس وعيًا بلاغيًا بآليات الإقناع التراتبي .(عبد المطلب ١٩٩٤،،ص١١٧)

ويبلغ التشبيهُ الحجاجيُّ ذروتَه حين يربط حسّان بين شجاعة الأنصار، ونتائجها المادية في ساحة القتال: *"مَن يَلقَهُم يَومَ الهِياجِ يُعَرِّدُ"*، إذ تُقدَّم العلاقةُ السببيةُ بين التشبيه (الأسود) والنتيجة (فرار الأعداء) كدليلٍ منطقيٍّ يُجبر المتلقيَ على تقبُّل الحُكم، كما يرى إحسّان عباس في "فن الشعر" أن التشبيه الحجاجيَّ، يتحول إلى "برهانٍ شعريٍّ" حين يُقيم الشاعرُ علاقةً ضروريةً بين المشبَّه والمشبَّه به. ويعمق حسّان من هذه العلاقة التصويرية في قوله :(عباس، ١٩٧٨، ص. ٢٢٠).

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

قَومُ اِبنِ نابِغَةِ اللِئامُ أَذِلَّةٌ لا يُقبَلونَ عَلى صَفيرِ المُرعَدِ

وَبَنى لَهُم بَيتاً أَبوكَ مُقَصِّراً كُفراً وَلُؤماً بِئسَ بَيتُ المَحتِدِ

إذ يحول الشاعر الخوف من الرعد– وهو الخوف الطبيعي لايهدد –إلى تعبير عن العجز الوجودي ليُعمّق المفارقةَ التصويريةَ بين صورة الأنصار الأشداء وخصومهم الجبناء، الذين يهربون من "صفير المرعد"، وهو تشبيهٌ يستند إلى الانزياح الدلالي كألية لإعادة تشكيل صورة الخصم والصفات السلبية ، إذ يُحوِّل الخوفَ من صوتٍ عاديٍ (الرعد) إلى تعبيرٍ عن الجبن الوجودي، مما يُضفي على السخرية بُعدًا تراجيديًا تبني مفارقةً تصويريةً بين بطولةِ الأنصارِ وجُبنِ الخصومِ الذين *"لا يُقبَلونَ عَلى صَفيرِ المُرعَدِ وبذلك استطاع الشاعر عبر تشبيهٍ حجاجيٍّ يُبرزُ التناقضَ بين صورةِ الخصمِ الواقعيةِ وصورتهِ المتخيَّلةِ ليُحوِّلُ السخريةَ إلى استراتيجيةٍ مقنعه ترسم في ذهن المتلقي صورة المهجو المبتذلة كي يبعد خيال المتلقي عن مصداقية مايدعون إليه جماعة المشركين ..

الاستعارة الحجاجية في هجاء حسّان الساخر :

تُمثل قصيدة حسّان بن ثابت في هجاء أبي سفيان نموذجًا متميزًا للخطاب الشعري الحجاجي في صدر الإسلام، ((إذ تتجاوز حدود البلاغة التقليدية إلى فضاء التداولية المعقدة، التي تمزج بين الإقناع العقلي والتأثير العاطفي. اذ يكشف التحليل البلاغي المعمّق عن استراتيجية حجاجية متطورة، تستثمر الطاقات التعبيرية للغة العربية في تفكيك الخطاب المضاد، وإعادة إنتاج المعنى داخل سياق التحولات العقدية والاجتماعية)) (صولة (٢٠١٧ ،ص٤٥) إذ يقول في مطلع قصيدته :

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عني فأنتَ مجوفٌ نخبٌ هواءُ

وأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء

كَأنّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأسٍ تُعفيّها الرّوَامِسُ والسّمَاءُ

هجوت محمدا ، فأجبت عنه وعند الله في ذاك جزاء

يستثمر حسان بن ثابت من خلال الصورة الاستعارية المكنية في قول الشاعر(بأن سيوفنا تركتك عبدا) آليات الاستعارة الحجاجية بوصفها وسيلة لتقويض مشروعية الخصم، إذ ينتقل ينتقل من الوصف المباشر إلى التصوير المجازي الذي يحمل قوة إقناعية كامنة عن طريق زرع حجة الاقناع عند المتلقي والتسخير منهم الى درجة حتى أن السيوف تركتهم عبدا، وما هو معتاد عليه أن السيوف لاحول ولاقوة لها، والترك ليس من صفاتها، لأنها أشياء مادية محسوسة بالفعل والترك، فكان لجوء الشاعر الى تشخيصها وسيلة من وسائل إقناع المتلقي من خلال مقاربة الفكرة التي تبدو متناقضة عند القارئ ،وبالنتيجة استطاع الشاعر أن يصيغ الحجة المقنعة من خلال استعماله التصوير الاستعاري ، وإعطاء الحياة لمن لاحياة له .

كما تتخذ السخرية في القصيدة بُعدًا حجاجيًا متقدمًا، فهي لا تقتصر على التهكم اللفظي، بل تمثل استراتيجية إقناعية تهدف إلى تفكيك المنظومة القيمية للخصم يتجلى ذلك في توظيف حسان للمفارقة البلاغية التي تحول الهجاء من أداة قبلية إلى سلاح عقدي (الوائلي ،٧٨–٩٥) ويختتم الشاعر النصوص بصورة أخرى يستثمر فيه حجة اخرى إذ يقول(ديوانه:٧٧).

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمّدٍ وَصِحابِهِ وأذلَّ كلَّ مكذبٍ مرتاب

مُسْتَشْعِرٍ لِلْكُفْرِ دونَ ثِيابِهِ والكفرُ ليسَ بطاهرِ الأثوابِ

عَلِقَ الشّقَاءُ بِقَلْبِهِ، فَأَرَانَهُ في الكُفْرِ آخِرَ هذِهِ الأحْقَاب

يشكل هذا النص نموذجًا متقدمًا للخطاب الحجاجي الهجائي الذي يوظف الاستعارة كآلية إقناعية مركزية، حيث ينسج حسان بن ثابت منظومة حجاجية محكمة تستند إلى التماهي بين المجال الحسي والمعنوي (الجرجاني، ١٩٩١، ص ٦٧). تتجلى الاستعارة الحجاجية الأولى في "مُسْتَشْعِرٍ لِلْكُفْرِ دونَ ثِيابِهِ" التي تحول الكفر من مفهوم عقدي مجرد إلى شعار مادي يلبسه المهجو تحت ثيابه، وهي استعارة تكنيزية (السكاكي، ١٩٨٧، ص ٢٣٤) تستثمر الدلالة الحديثية للشعار لتؤسس حجة التنجيس المعنوي عبر التجسيد الحسي. يعمق الشاعر هذا البناء الحجاجي من خلال الاستعارة التفسيرية "والكفرُ ليسَ بطاهرِ الأثوابِ" التي تحول الطهارة المعنوية إلى نجاسة حسية ملموسة، محققًا بذلك انتقالاً حجاجيًا من المجرد إلى المحسوس لترسيخ فكرة التدنيس (القزويني، ١٩٨٥ ، ص ١٨٩). تبلغ الاستعارة الحجاجية ذروتها في البيت الثالث حيث "عَلِقَ الشّقَاءُ بِقَلْبِهِ" التي تصور الشقاء كمادة لزجة تعلق بالقلب، وهي استعارة تحسيسية (ابن الأثير، ١٩٩٠، ص ١٤٥) تهدف إلى إقناع المتلقي بثبات حالة الشقاء ودوامها. وبذلك لم تعد الاستعارة هنا مجرد مجاز لفظي، بل أصبحت آلية إقناعية تستثمر الثراء الرمزي للغة لتفكيك شرعية الخصم (القرطاجني،١٩٨٦ ص ٢٢٠) وبذلك يمكن القول إن حسّان بن ثابت أنتج خطابًا شعريًا يمثل في جوهره وثيقة تاريخية حية، تكشف عن قدرة البلاغة العربية على التكيف مع التحولات الاجتماعية والعقدية، وعلى إعادة إنتاج آليات الإقناع بما يخدم المشروع الإسلامي الناشئ (عزالدين ، ص٩٥).

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

في الختام، تُظهر قصيدة حسّان بن ثابت كيف يمكن للشعر أن يكون خطابًا حجاجيًّا يُوظِّفُ البلاغةَ والسخريةَ لتأكيد الحقائق العقدية، وتفكيك الخطابات المضادة. لقد نجح حسّان في تحويل الهجاء من أداةٍ قبليةٍ إلى سلاحٍ إسلاميٍّ، مُرسخًا بذلك دورَ الشعر كوسيطٍ بين الفكر والواقع، وبين القداسة والسخرية

الكناية الحجاجية في الهجاء الساخر عند حسّان بن ثابت:

تمثل دراسة الكناية الحجاجية في هجاء حسّان بن ثابت، تأسيساً نقدياً يتجاوز المقاربات التقليدية للبلاغة العربية نحو استكشاف الأبعاد الوظيفية والاستدلالية للصور البيانية. إنّ توظيف حسّان للكناية في سياق الهجاء الساخر يكشف عن نسق حجاجي متكامل، يتضافر فيه البعد الجمالي مع البعد الإقناعي ضمن منظومة دلالية محكمة البناء. وقد أسس عبد القاهر الجرجاني لهذا الفهم الوظيفي للكناية بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه" .(الجرجاني،ص٦٦) وهنا تتجلى خصوصية الكناية، بوصها آلية استدلالية، تتجاوز مجرد التلميح إلى الاستدلال الضمني، مما يجعلها فضاءً خصباً لتوليد الحجج وإنتاج الإقناع ،ويمكن رصد البنية العميقة للكناية الحجاجية في هجاء حسّان من خلال تحليل الخصائص الأسلوبية والبلاغية التي تميز خطابه الهجائي. فقد استطاع حسّان توظيف المنظومة القيمية المشتركة بين العرب لإنتاج كنايات ذات بعد حجاجي مؤثر، معتمداً على ما يسميه البلاغيون العرب "التلازم الذهني" بين الصفة ودليلها. يقول السكاكي موضحاً هذه الفكرة: ((إن إثبات الصفة بإثبات دليلها آكد وأبلغ في الدعوى من إثبات الصفة نفسها)) (السكاكي١٩٨٧، ص ٢٤٥) ، وهذا يفسر القوة الحجاجية للكناية بوصفها تقديماً للمعنى مقروناً بدليله، أو كما يقول ابن رشيق القيرواني ((وأحسن الكناية ما دلّ عليه من بعيد، وأغرب ما يكون إذا كان المعنى معها ظاهراً والكناية خفية)) (القيرواني، ص٣٠٥) ، وقد برع حسّان بن ثابت في توظيف الكناية الحجاجية ضمن سياق تاريخي انتقالي بين منظومتين قيميتين:

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

جاهلية وإسلامية، مما أكسب كناياته الهجائية عمقاً دلالياً استثنائياً. يؤكد طه حسين هذه الخصوصية التاريخية بقوله: ((إن حسّان بن ثابت من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، وكان شعره في الجاهلية امتداداً للتقاليد الشعرية العربية، ثم تحول في الإسلام إلى أداة للدفاع عن الدين الجديد ونبيه الكريم)) (حسين١٩٧٣ ،ص١٢١) وتتجلى هذه الخصوصية في توظيفه للكناية الحجاجية كآلية تجمع بين المنظومة القيمية الجاهلية والإسلامية، فكان يستثمر القيم المشتركة بينهما لتعزيز فاعلية حججه الهجائية ، يقول حسّان في هجاء قريش:(العناني ، ص١٤)

فإنَّ أبِي ووَالِدَهُ وعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

لساني صارمٌ لاعيب فيه وبحري لاتكدرهُ الدلاءُ

يوظف الكناية لبناء حجة مركبة تستند إلى قيمة مشتركة بين المنظومتين الجاهلية والإسلامية، وهي تعظيم شأن الأبناء واستعداد الإنسان للتضحية بأغلى ما يملك دفاعاً عن قضية يؤمن بها، وما يعزز البعد الحجاجي لهذه الكناية هو ارتباطها بالسياق العقدي والاجتماعي، فالشاعر لا يقدم حجة مجردة، بل يقدمها ضمن نسق قيمي يعطيها مشروعيتها وقوتها الإقناعية. وهنا يتضح ما أسماه بيرلمان ((التفاعل بين الحجة والسياق)) (العناني، ص١٧٣) ، إذ تستمد الحجّة قوتها من انسجامها مع المنظومة القيمية للمتلقي، وهنا تتميز البنية الحجاجية للكناية عند حسّان بتوظيفها للثنائيات المتقابلة، حيث يقيم مفارقات دلالية بين ما هو مثالي وما هو واقعي، مستثمراً التوتر الحاصل بينهما لتعزيز قوة حججه. يقول ابن الأثير: ((والكناية إذا جاءت على هذا الوجه كانت أبلغ من الإفصاح، لأنها تثبت المعنى مصحوباً بدليله ومقروناً ببرهانه)) (ابن الاثير ١٩٩٠ ، ،ص١٩٣) ويتجلى هذا التوظيف للثنائيات المتقابلة في قول حسّان: (العشقلاني ،ص ٣٢)

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

لا تَشْتِمِ الأَسْدَ فَتَشْتِمَكَ الكِلاَبُ إنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ لَئِيمُ

فالثنائية المتقابلة (الأسد/الكلاب) تنطوي على كناية حجاجية مركبة، تستدعي الفرق الجوهري بين النموذجين، وتجعل من الكلاب كناية عن الدناءة والخسة، في مقابل الأسد الذي يمثل الشجاعة والكرامة. والملفت في هذه الكناية أنها تتجاوز مجرد الوصف السلبي للخصم إلى تأسيس حجّة منطقية مفادها أن التفاعل مع الوضيع يؤدي إلى الانحدار إلى مستواه، وهي حجّة تستمد قوتها من المنطق الاجتماعي السائد. وهذا ما دفع طه حسين إلى القول بأن ((هجاء حسّان كان يتجاوز الإيذاء اللفظي إلى التفكيك المنطقي للخصم، فهو لا يكتفي بوصفه بالصفات المذمومة، بل يبني حجّة منطقية تدينه وتثبت عدم أهليته))(حسين،٢٠١٤،ص٢١٤)

وبذلك يُظهر التحليل المعمق لكنايات حسّان الحجاجية توظيفاً ذكياً للتراكم الدلالي، حيث تتدرج الصور الكنائية وفق سلم حجاجي متصاعد يعزز من قوة الإقناع ويعمق الأثر النفسي للهجاء. يقول الشاطبي: "إن الاستدلال بالكناية يكون أقوى من الاستدلال بالتصريح، لأن الكناية تجعل المتلقي شريكاً في استنتاج المعنى، فيقتنع به أكثر مما لو تم تقديمه له بشكل مباشر" (الشاطبي ١٩٩٧،،ص٢١٥) وهذا ما نلمسه في قول حسّان (حسان بن ثابت ص ٤٥)

أَلا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

ويُبرِزُ المطلعُ الاستهلاليُّ للقصيدةِ «أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي...» آليَّةً حجاجيةً مُحكَمةً، تحدث صدمة سيميائية تفكك صورة أبي سفيان الاجتماعية (بيرلمان ٨٨) ليفضي الى نتيجة حجاجية مفادها أن أبا سفيان (قبل إسلامه) لا يستحق مكانته القيادية بين قومه لأنه عبد ذليل فؤاده منزوع الجوف خوفا وجزعا أي أنه فارغٍ من المضمون الأخلاقي والفكري، وهو ما يُضعفُ أهليتَه للمناظرة قبل البدء في الحجاج (عبد الرحمن ،طه ،٢٠٠٠، ٢١٠) (وتَتعمَّقُ هذه الاستراتيجيةُ عبر الانزياح الدلالي في كلمة «نَخِبٌ» التي تُحملُ الوصفَ السخري المزدوج ، وتُنبئُ عن تفاهةِ الخصم، مُحدثةً صدمةً سيميائيةً تُقلِبُ توقعاتِ المتلقي (العمري١١٢) ،

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

ولم يكتف بإهانة المهجو (ابي سفيان بن الحارث) بل تعداه إلى هجاء قبيلته (عبد الدار) الذين لهم السقاية والحجابه والرفادة كناية عن الجبن والضعه وفقدان المروءة ،وبعدها يعمق استراتيجية التفكيك الحجاجي عبر المقارنة الساخرة في قول:(حسان بن ثابت ص: ٤٥)

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا فِدَاءُ

تتجلى هنا براعة حسان في توظيف الاستفهام الإنكاري كآلية حجاجية تكشف عن التفاوت الجوهري بين الشخصيتين، إذ يقلب المنطق البلاغي ليجعل شر أبي سفيان فداءً لخير النبي محمد ﷺ. وقد أكد الدكتور محمد العمري على هذا الترابط الوثيق بين البعد الجمالي والبعد الحجاجي في الكناية بقوله: ((إن الكناية تمثل نموذجاً أمثل للتكامل بين الوظيفتين الجمالية والإقناعية في الخطاب البلاغي، فهي من جهة صورة بيانية تثير المتلقي وتدهشه، ومن جهة أخرى آلية حجاجية تقنعه وتؤثر في موقفه)) (العمري٩٨) ويتجلى هذا التكامل الوظيفي في توظيف حسان للسخرية بوصفها بعداً أساسياً في كناياته الحجاجية، إذ تعمل السخرية على نزع القداسة عن الخصم وتحويله إلى مادة للتندر والاستهزاء؛ مما يهيئ المتلقي نفسياً لقبول الحجة الضمنية التي تفند مزاعمه وتدحض ادعاءاته.

وقد أشار الدكتور محمد مفتاح إلى هذه الخاصية بقوله: ((إن الكناية تستمد قوتها الحجاجية من قدرتها على استثمار المخزون التجريبي للمتلقي، فهي تحيل على تجارب حسية وخبرات واقعية مشتركة بين المرسل والمتلقي، مما يجعل الحجّة المضمرة فيها أكثر إقناعاً وتأثيراً)) (السكاكي، ص١٠٥) وفي إطار النظرية الحجاجية المعاصرة، يمكن النظر إلى كنايات حسّان الساخرة بوصفها تجسيداً لما يسميه بيرلمان "الحجاج بالنموذج"، إذ تقدم الصورة الكنائية نموذجاً سلبياً يراد من المتلقي أن يتجنبه أو يرفضه. يقول بيرلمان: ((يستمد الحجاج بالنموذج قوته من طريقة عرض النموذج وتقديمه للمتلقي، فكّلما كان النموذج أكثر ارتباطاً بتجارب المتلقي وخبراته كان أكثر إقناعاً وتأثيراً)) ويتجلى ذلك في قول حسّان :(المهيري،٢٠١٤ص،١٢٧)

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

)

نُطَاعِنُهُمْ غُدُوًّا ثُمَّ نَمْضِي فَتَخْضِبُ بِالدِّمَاءِ قَوَائِمُ الصُّمِّ

فالكناية عن شدّة المعركة وكثرة القتلى (تخضب بالدماء قوائم الصم) تستدعي نموذجاً حرفياً متخيلاً في ذهن المتلقي، يرتبط بتصوراته المتخيلة عن وطيس الحروب والمعارك، مما يجعل الحجّة المضمرة (شجاعة المسلمين وتفوقهم على أعدائهم) أكثر إقناعاً وتأثيراً ، وقد أشار الدكتور عبد الله صولة إلى أهمية السياق التداولي في تحديد القيمة الحجاجية للصور البلاغية بقوله ((إن القوة الحجاجية للصورة البلاغية لا تكمن في بنيتها الداخلية فحسب، بل في علاقتها بالسياق التداولي الذي وُظفت فيه، والمقام الخطابي الذي أُنتجت فيه)) (العناني ،ص١٥)

ومن الآليات الحجاجية المميزة في كنايات حسّان توظيفه للصورة الحسية المرتبطة بالواقع المادي المشاهد، مما يمنح الكناية بعداً حجاجياً ملموساً يصعب دحضه أو تفنيده، يقول حازم القرطاجني ((أفضل الشعر ما قربت استعارته، ولطف إيجازه، وقويت حجته، وأمتع مسموعه)) (لقرطاجني ١٩٨٦ ،ص٧١) وهو ما نجده في قول حسّان :(العناني،ص١٥)

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ

فالكناية المركبة هنا تستند إلى صورة حسية مشاهدة (الخيل وهي تثير الغبار، الرماح العطشى إلى دماء الأعداء) لتبني حجّة مفادها قوة المسلمين وحتمية انتصارهم. والملفت أن الصورة الحسية التي تشكل أساس الكناية تستدعي في ذهن المتلقي تصورات واقعية ومشاهدات حية، مما يجعل الحجّة المضمرة أكثر إقناعاً وتأثيراً .

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

وختاما : يمكن القول إن دراسة الكناية الحجاجية في هجاء حسّان بن ثابت تكشف عن تكامل عضوي بين البعد الجمالي والبعد الإقناعي في الخطاب البلاغي العربي، وتؤكد على ضرورة تجاوز المقاربات الشكلية التي تنظر إلى البلاغة، بوصفها مجرد زخرف لفظي أو تنميق أسلوبي، نحو مقاربة وظيفية تستكشف الأبعاد الحجاجية والتداولية للصور البلاغية. فقد استطاع حسّان أن يجعل من الكناية الساخرة أداة حجاجية فاعلة في معركته الشعرية ضد خصوم الإسلام، مستثمراً ما تنطوي عليه من طاقات إقناعية، تتجاوز مجرد التأثير العاطفي إلى الإقناع العقلي المبني على حجج منطقية ضمنية ، وهذا ما يؤكد أن البلاغة العربية في أصولها وجوهرها لم تكن مجرد دراسة للمحسنات اللفظية، بل كانت علماً للإقناع والتأثير، تستهدف العقل والوجدان معاً، وتسعى إلى تحقيق الإمتاع والإقناع في آن واحد.(السكاكي ١٩٨٧ ، ص١٠٥)

الخاتمة:

١–لقد مثّل خطاب الحجاج الساخر في شعر حسان بن ثابت الاسلوب الافحامي الاستدلالي الاستدارجي الاقناعي، الذي وظّفه في دفاعه المتفاني عن الرسول الاكرم(صلى الله عليه وسلم) والاسلام، بحجج دامغة جاء بعضُها في اسلوب هجاءٍ ساخر، نال كثيراً من المشركين لثنيهم وعدولهم عن مواقف المعارضة، والمناضلة ضد الرسول الاكرم والاسلام.

٢–مثّل حسّان بن ثاب خطاب السلطة لذلك هو خطاب عظمة، وقوة وانتقاص وسخرية من الآخر، الذي هو في موقف ضعف، فجاءت الاستعارات والكنايات حججا بلاغية ذات قيم عالية مؤثرة في مشاعر الاخر سلبا، مثيرة الرعب في نفوس الآخرين .

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

٣- إنَّ حسّان بن ثابت وظف الصور البيانية والبلاغية، والفنية للنيل من أعداء الاسلام ؛ كونها مثّلت حججا منطقية برهانية استدلالية، أفحمت الخصم .وتعد هذه الصور خطاباً حجاجياً رديفاً للخطاب السياسي أو الديني، الذي يحمل القيم الدينية في الدعوة الى الاسلام والجهاد في سبيل الله وشحذ الهمم . اذا اخذنا في نظر الاعتبار الصور البيانية الحجاجية، ومدى تأثيرها نفسياً على الخصم المخاطب، مما كان لها دور واضح في حسم الكثير من الاشكالات، والمشاكل التي يثيرها الخصوم .

٤ -نلحظ في القصائد السردية ذكر أو وصف مفصل للمشركين وأحوالهم أوسماتهم أو أنسابهم وأحسابهم؛ وبهذا وظف حسّان السرد مع الشعر في الدفاع عن الإسلام والرسول .

٥- كما تَكشِفُ الدراسةُ أنَّ الاستعارةَ الحجاجيَّةَ في هجاءِ حسّان لَيسَتْ زينةً لفظيَّةً فحسبُ، بل آليَّةٌ إقناعيَّةٌ تَستغلُّ الثَّراءَ الرمزيَّ للُّغةِ لِبناءِ حُجَجٍ تَستهدِفُ تفكيكَ شرعيَّةِ الخَصْمِ. وقد وَفَّقَ حسّان في تَوحيدِ البُعدِ الجماليِّ (الاستعارةِ) مع البُعدِ العقلانيِّ (الحجاجِ)، ما جَعَلَ هجاءَهُ أداةً فاعلةً في الصراعِ الاجتماعيِّ والسياسيِّ لعصرِهِ

التوصيات

١. **إعادة قراءة الشعر العربي بمنظور تداولي–حجاجي:**

يُنصح باعتماد منهجية الحجاج والبلاغة التداولية في تحليل النصوص الشعرية العربية، خصوصًا في الفترات المفصلية كالعصر الإسلامي المبكر.

٢. **تعزيز دراسة البلاغة الوظيفية لا الشكلية:**

ينبغي التركيز على البعد الوظيفي للبلاغة في المناهج الدراسية والبحثية، لا سيما ما يتعلّق بالإقناع والتأثير، وليس فقط الزخرف الأسلوبي.

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

٣. **فتح دراسات مقارنة بين الحجاج الإسلامي والحجاج الغربي:**

يُوصى بمقارنة حجاج حسّان بن ثابت، بوصفه شاعرًا إسلاميًا، بنماذج حجاجية في الشعر السياسي أو المقاوم الغربي، لتعزيز الرؤية العالمية للحجاج.

٤. **استثمار نتائج الدراسة في الخطاب الديني المعاصر:**

من الممكن الاستفادة من الأساليب الحجاجية في شعر حسّان في تطوير خطابات دعوية معاصرة قائمة على المنطق والإقناع والبلاغة.

٥. **تشجيع دراسات متعددة التخصصات:**

يدعى الباحثون إلى دمج الحقول المعرفية: الأدب، البلاغة، الفلسفة، وعلم الاجتماع، لفهم أعمق للخطابات الأدبية الحجاجية وتأثيرها على المجتمعات.

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

المصادر والمراجع :

١- ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد. (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج٢). تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. القاهرة: دار نهضة مصر

٢- ابن ثابت، حسان. (د.ت). ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري الخزرجي. شرح: محمد العناني. مصر: مطبعة السعادة.

٣- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٩٩٥). الإصابة في تمييز الصحابة (ج١). تحقيق: عادل أحمد عبد

٤- ابن رشيق القيرواني، الحسن بن رشيق. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (ج١). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥- أبو زيد، نصر حامد. (٢٠١٤). إشكاليات القراءة وآليات التأويل. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

٦- أبو موسى، محمد حسين (د.ت). البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري. القاهرة: دار الفكر العربي.

٧- توفيق ابراهيم صالح, د. (٢٠٠٨). الأسلوب في أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني دراسة وتحليل .*مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية*,ع١.

٨- الجابري ،محمد عابد، ٢٠١٦، المواءمة بين التراث والحداثة ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،قطر.

٩- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (د.ت). أسرار البلاغة. تحقيق: محمد عبده. القاهرة: دار المعارف

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

١٠- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (١٩٩٢). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق: محمود محمد شاكر القاهرة: مكتبة الخانجي

١١- حسين، طه بن علي. (١٩٧٣). حديث الأربعاء. القاهرة: دار المعارف،

١٢- الدهري، أمينة بنت عبد القادر. (د.ت). الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة (ط١). المغرب: المدارس للنشر والتوزيع>

١٣- الرازي ، زين الدين محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ،مختار الصحاح ،المكتبة العصرية- الدار النموذجية سنة النشر: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٤- الزيات، احمد حسن ،المعجم الوسيط ، الجز الاول المكتبة الاسلامية الطبعة

١٥- السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (١٩٨٧). مفتاح العلوم. ضبط وتعليق نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٦- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (أبو إسحاق). (١٩٩٧). الموافقات في أصول الشريعة (ج٤). تحقيق: عبد الله دراز. بيروت: دار المعرفة.

١٧- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية (ط١). بنغازي، ليبيا: دار الكتب الوطنية

١٨- صمود، حمادي بن محمد. (٢٠١٩). البلاغة والصراع الثقافي: مقاربات في الخطاب الحجاجي. تونس: منشورات الجامعة التونسية.

١٩- صمود، حمادي بن محمد. (٢٠١٠). من تجليات الخطاب البلاغي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة

٢٠- صولة، عبد الله بن محمد. (٢٠١٧). الحجاج في القرآن: دراسة بلاغية تحليلية. الرياض: دار النهضة

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

٢١- عباس، إحسان بن عباس. (د.ت). تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت: دار الثقافة.

٢٢- عبد الرحمن، طه. (٢٠٠٠). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

٢٣- عبد المطلب ،محمد ١٩٩٤، البلاغة والاسلوبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ،مصر

٢٤- العشقلاني ،احمج بن علي بن حجر ،(١٣٨٠)فتح الباري بشرح البخاري ، المكتبة السلفية ، مصر .

٢٥- عكاشة، محمود بن عبد الرحمن. (٢٠١٤). تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم. القاهرة: دار النشر للجامعات.

٢٦- العمري، محمد بن أحمد. (٢٠٢٠). في بلاغة الخطاب الإقناعي. القاهرة: عالم الكتب.

٢٧- الغزالي، ابو حامد ، إحياء علوم الدين، مكتبة الايمان ، ٢٠٠٨.

٢٨- -قادا، عبد العالي بن محمد. (٢٠١٥). الحجاج في الخطاب السياسي (ط١). عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

٢٩- القاري نور الدين علي بن سلطان محمد ،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، دار الفكر، سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٣٠- القرطاجني، حازم بن محمد. (١٩٨٦). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث (العلوم الانسانية اساس الإرتقاء الفكري للمجتمع للمدة 1-2 - حزيران 2025)

٣١- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. (١٩٨٥). الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الجيل.

٣٢- اللغوي ،:ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، مجمل العين: تحقيق ، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت/ لبنان، ١٩٨٦م.

٣٣- المهيري، عبد القادر بن الطيب (٢٠١٤) مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة (ترجمة عن شاييم بيرلمان) تونس: دار سيناترا للنشر.

٣٤- الوائلي ، سعاد ، تحولات الخطاب الشعري في صدر الإسلام : بيروت ، لبنان (د.ت).

٣٥- ياسين ،احمد طه و صالح ،الحان ، الاحتجاج اللغوي بالحديث النبوي الشريف في القاموس المحيط ، مجلة جامعة كركوك/ للدراسات الانسانية مج ١٥، العدد ١، شباط / فبراير ٢٠٢٠.